

حقيقة
الفتاوى

وأنواعه في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

جميع الحقوق

رقم الإيداع ٢٠٠٤/١٧٩٤١

الترقيم الدولي

977-331-333-6

دار الإيداع
للطباعة والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الحياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون طالس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

حقيقة

الكتاب

وأنواعه في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

إعداد

علي رمضان أبو العز

حفظه الله

دار الإفتاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بمسكنه رقم ٥٤٥٧٦٦

دار الفتوة
يتمتع الكتاب بالسرطنة التي يري
تلك: ٥٤٥٧٦٦ ت: ٢٠٠٢-٢٢٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعه إلى يوم الدين وبعد، فإن الإنسان متى ما وفقه الله تعالى وهداه إلى الدخول في الإسلام فإنه قد تخطى بذلك عقبة كؤودا في طريقه إلى رضوان الله تعالى عز وجل، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

وبعد الدخول في الإسلام، ستكون هناك عقبة أخرى لابد لكل مسلم أن يتجاوزها لكي يتم إيمانه، وهي التي جاءت في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَنَّهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّالِحُونَ ﴾ (الحجرات: ١٥).

وهذه العقبة هي عقبة الريبة والشك التي إن توقف عندها المسلم وقع في النفاق دون أن يشعر، ومثله في ذلك كالتطالب الذي تم قيده في إحدى كليات الجامعة، فهو منتسب إليها، ولكنه لا يواظب على حضوره فيها، ولا يستعد لاختباراتها، فهو وإن كان منتسباً إليها، كان كمن هو خارجها لأنه لا يهتم بأمور دراسته بها، ومن هنا فقد راودتني فكرة تأليف هذا الكتاب منذ سنوات عديدة، عندما لاحظت عدم اهتمام أغلبية المسلمين في هذا الزمان بأمور عقيدتهم عامة، وبحقيقة النفاق بصفة خاصة وتربى على ذلك الصغير، وهرم على جهلها الكبير،

وسبب ذلك الاكتفاء بالمناهج الدراسية التي لم تتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل اللازمين، وأود أن أشير إلى أن الإصرار على عدم معرفة الحق وبذل الجهد في سبيل تحصيله يوقع حتماً صاحبه في الزلل مصداقاً لقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ∞ ∞ ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ورضى الله تعالى عن الصحابي الجليل أمين سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان الذي نبهنا إلى هذه الحقيقة في الحديث المشهور عندما سأل رسول الله ﷺ عن الفتن فقال **هَاتِيْنِيْ**: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...» الحديث^(١).

وأغلبية المسلمين في هذا العصر: إذا سألتهم عن النفاق والمنافقين قالوا: إن النفاق هو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر، دون إبداء الأسباب الحقيقية لهذا التعريف، وحين نقرأ بعض آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المنافقين مثل قوله تعالى:

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (التوبة: ٥٤).

وتساءلنا إن كان هؤلاء يخفون الكفر ويظهرون الإسلام فلماذا يأتون إلى الصلاة وهم كسالى؟ أليس بإمكانهم الإدعاء بأنهم قد صلوا في رحالهم؟

وإذا قرأنا في صورة المنافقين قوله عز وجل:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

(المنافقون: ٣).

علمنا إجابة السؤال السابق، أن المنافقين قد دخلوا في الإسلام حقاً، ثم كفروا لوقوعهم في إحدى شُعب الكفر التي سيأتي بيانها فيما بعد، وإذاً فإن هناك نوع آخر من النفاق غير الذي نعرفه، وهذه الحقيقة غابت عن بعض مناهج التعليم في هذا العصر، لأنها مناهج تعتمد في جزء كبير منها على تفسير أمور العقيدة بالرأي والعقل، وتأويل اللغة وتناهى عن الاعتماد على كتاب الله عز وجل، وأحاديث النبي ﷺ، وفهم الصحابة، والتابعين وأئمة المسلمين.

هذا ولقد جمعت ما يسره الله تعالى لي من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وآثار السلف واجتهادتهم في المسألة، والله الحمد والمنة قد تطابقت واتفقت مع ما كنت أرجو من الوصول إلى حقيقة النفاق، ولست أزعم أن جميع ما في هذه الدراسة صواباً فليس من معصوم إلا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فإذا صح شيء من هذا البحث فبتوفيق الله عز وجل، وما زال منه، فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله عز وجل السداد في القول والعمل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

obeikandi.com

الفصل الأول

معنى النفاق في اللغة والشرع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: لفظ النفاق قد قيل، أنه لم تكن العرب تكلمت به ولكنه مأخوذ من كلامهم فإن نفق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة: إذا ماتت «خرجت منها الروح»، ومنه ناققاً واليربوع «حيوان صحراوي يقوم بكتف أحد جحره ويظهر غيره»، والنفق في الأرض قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اِسْتِطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأنعام: ٣٥).

فالمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه ظاهراً، وقيد النفاق بأنه نفاق من الإيمان ومن الناس من يسمى من خرج عن طاعة الملك ناققاً عليه، لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول ﷺ، فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب الناس بغيرها وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً^(١).

والنفق كما هو معلوم في عصرنا الحاضر هو سرب في الأرض أو الجبل له مدخل ومخرج، والإسلام هو الطريق الذي يسلكه من أسلم وإذا استمر فيه على شرع ومنهاج الله عز وجل، فإنه يؤدي به إلى الإيمان، ثم إلى الإحسان، ثم إلى لقاء الله عز وجل في الجنة، وهناك من يدخل الإسلام بالشهادتين، وقد يصلي،

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية.

ويزكي، ويحج بيت الله الحرام، ويصوم شهر رمضان، ولكنه يخرج من الإسلام عن طريق شعب الكفر المعروفة في القرآن والسنة النبوية الشريفة ومنها: كفر الشك، أو كفر الجحود، أو كفر الاستكبار، أو كفر الاستهزاء ... إلى آخره، والصنف الأغلب الذي نحن بصدده هو كفر الشك في أحد أركان الإيمان الست وما يتعلق بها وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذه هي حالة النفاق التي وردت بشأنها أغلب الآيات القرآنية التي تحدثت عن النفاق، وأما النفاق الذي سببه التظاهر بالدخول في الإسلام خوفاً من القتل أو السبي أو طمعاً في مغنم المسلمين فقد وردت بشأنه آيات قليلة بالنظر إلى آيات النفاق كلها، وسنستعرضها بالتفصيل في الفصول اللاحقة بإذن الله تعالى والله الموفق.



الفصل الثاني

نفاق الخوف من القتل أو السبي

وهذا النوع من النفاق يختص بمعظم المنافقين الذين كانوا يقيمون خارج المدينة فمنهم من أسلم في مكة ولم يهاجر إلى المدينة مع المقدرة على ذلك، ومنهم من أسلم من الأعراب حول المدينة وخارجها وهم الذين أظهروا الإسلام عند لقاء رسول الله ﷺ، وإذا رجعوا إلى قبائلهم عادوا إلى الكفر، وإنما أظهروه أمام المسلمين خوفاً من القتل أو السبي وهؤلاء، وأولئك نزل فيهم قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٨٨-٩٠)

كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ (النساء: ٨٨-٩٠).

تحدث الآيات السالفة عن المنافقين خارج المدينة وتنهاي المؤمنين عن موالاتهم، أو مصادقتهم حتى يحققوا إيمانهم المزعوم بالهجرة والجهاد في سبيل الله، وإذا عرضوا عن ذلك فقد أمر الله عز وجل المؤمنين أن يأخذوهم ويقتلوهم

حيث وجدوهم ولا يستنصروهم ولا يستعينوا بهم حتى ولو بذلوا للمؤمنين الولاية والنصرة، ويستثنى من هؤلاء المنافقون الذين يلجأون إلى قوم عاهدوا المسلمين فدخلوا بينهم بالحلف، فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم، كما يستثنى أيضاً من القتل المنافقون الذين ضاقت صدورهم من قتال المسلمين وقتال قومهم من الكفار والمشركين، فهم قوم ليسوا مع المؤمنين ولا عليهم، ومن لطف الله عز وجل بالمؤمنين أن كف أذاهم عن المسلمين، فإن لم يتعرضوا لقتال، وانقادوا، أو استسلموا للمسلمين فليس للمسلمين أن يقاتلوهم ما سالموهم، وهذه الآيات، قال في تفسيرها أبو السعود: «هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا أو نكثوا عهدهم ليأمنوا قومهم^(١)».

وأمثال هؤلاء إذا خرخوا عهدهم للمسلمين، ولم يكفوا أيديهم عن قتالهم فإن الله عز وجل أباح للمسلمين قتلهم لقيام الحجة الواضحة على غدرهم وخيانتهم.

وهذا النوع من المنافقين هو نوع مؤقت، مثله كمثل نفاق الدخول في الإسلام للمنفعة وللکسب المادي، وخاصة بعد قيام دولة الإسلام وانتشار الدين فلا إكراه في دخوله لمن لم يدخله حقاً، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الصنف أن هؤلاء قد يحسن إسلام أحدهم فيصير من المؤمنين كأكثر الطلقاء «الذين أسلموا عند فتح مكة»، وقد يبقى من فساق الملة ومنهم من يصير منافقاً مرتاباً^(٢)، أي يتحول إلى نفاق الشك والارتياب وهذا النوع الأغلب من النفاق وموضوع هذا البحث والله من وراء القصد.

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٤٢٢/١).

(٢) كتاب الإيمان.

الفصل الثالث

نفاق الريبة والشك في القرآن الكريم

يمثل هذا النوع من النفاق أكثر المنافقين الذين ورد بشأنهم أغلبية الآيات القرآنية الخاصة بالنفاق وكذلك الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ﷺ ، والآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين ، وسبب استثناء هذه الفئة بهذا القدر الكبير في الشريعة الإسلامية ، أنها هي الفئة التي يستمر وجودها إلى يوم الدين ، والتي أشرنا في الفصل السابق إلى أن الأنواع الأخرى من النفاق يتحول إما إليها ، أو إلى الإيمان ، أو إلى الفسوق بمرور الزمن ، وهذا الصنف هو الذي وردت فيه أول آيات النفاق في القرآن الكريم في سورة البقرة ، حيث يقول عز من قائل :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾
يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ فِي
قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴿١٠٨﴾ وَاِذَا
قِيْلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوْا فِي الْاَرْضِ قَالُوْا اِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَ ﴿١٠٩﴾ اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُوْنَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿١١٠﴾ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ ءَامِنُوْا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوْا
اَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿١١١﴾ وَاِذَا
لَقُوا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا قَالُوْا ءَامَنَّا وَاِذَا خَلَوْا اِلَىٰ شَيْطٰنِهِمْ قَالُوْا اِنَّا مَعَكُمْ اِنَّمَا
نَحْنُ مُسْتَهْزِءُوْنَ ﴿١١٢﴾ اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيٰنِهِمْ يَعْمَهُوْنَ ﴿١١٣﴾ اُوْلٰئِكَ
الَّذِيْنَ اَشْتَرُوْا الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰى فَمَا رَجَبَتْ تَجْرٰتُهُمْ وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَ ﴿١١٤﴾
مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِيْ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا اَضَاعَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ

وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٧﴾ صُمُّ بَكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٠٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَنَارٌ يُجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ إِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢٠٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١٠﴾ ﴿البقرة: ٢٠٨-٢٠٩﴾.

ثلاث عشرة آية نزلت في منافقي الريبة والشك وقد نزل قبلها أربع آيات في المؤمنين وآياتان في الكافرين، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على التنبيه إلى عظيم خطر وضرر المنافقين، كما يدل ذلك أيضاً على أن هذا القدر من الآيات لم ينزل في فئة محددة انتهت بانتهاء عصر النبوة وإنما في فئة تمتد وجودها إلى قيام الساعة وفيما يلي تفسير الكلمات التي تظهر وتبين منافقي الريبة والشك.

١- العمه الوارد في كلمة يعمهون تعني التحير والتردد في الشيء قال الفخر الرازي: «العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التردد والتحير لا يدري أين يتوجه»^(١).

٢- قال البيضاوي رحمه الله في تفسير الآيات السالفة: هذا هو القسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله ولذلك أطال في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم^(٢).

وفي الآيات السابقة بيان لجهل المنافقين، فظنهم أن مجرد نطقهم بالشهادتين وادعاء اليقين بالله، واليوم الآخر، سيكتب لهم النجاة كامتحانات الدنيا التي لا يشترط فيها التصديق والإيمان بالإجابة الصحيحة لأسئلة الامتحان للحصول على

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

(٢) تفسير البيضاوي (١١/١).

النجاح، فهم يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك، وما علموا أن الله عز وجل لا يخدع، لأنه لا تخفى عليه خافية، وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، أي لا يحسون بذلك ولا يفتنون إليه لتماذيبهم في غفلتهم، ويُستفاد من ذلك أن عدم الشعور بالنفاق لا يعذر صاحبه عند الله عز وجل، وفي قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ ، أي في قلوبهم شك ورجس فزادهم الله رجساً فوق رجسهم وضلالاً فوق ضلالهم، قال ابن أسلم هذا مرض في دينهم وليس مرض في الجسد وهو الشك الذي اضلهم في الإسلام فزادهم رجساً وشكاً^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، قال الفخر الرازي والتشبيه في الآيات في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم أولاً اكتسبوا نوراً، ثم بنفاقهم أبطلوا ذلك النور، وأطفأوه ووقعوه في حيرة عظيمة لأنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين لخسران أنفسهم أبد الأبدين^(٢).

والمتدبر لقول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يتبين له أن الشك الحادث للمنافقين إنما هو حادث في وقوع يوم البعث والحساب، فإنهم يقرون بوجود الله عز وجل، حالهم في ذلك الكفار والمشركين الذين قال الله عز وجل فيهم:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦١).

(١) مختصر تفسير ابن كثير.

(٢) صفوة التفاسير.

فالمنافقون يعتقدون وجود الله عز وجل ويشكون في يوم القيامة وشكهم ذلك بمثابة النفاق الاعتقادي المؤدي إلى الكفر بالله عز وجل ، ولذا كان اليقين باليوم الآخر والاستعداد له هو الفيصل بين المؤمنين والمنافقين كما سنفصل فيما بعد إن شاء الله.

وفي سورة «آل عمران» يقول الله عز وجل :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝ ﴾ (آل عمران: ١٦٦ ، ١٦٧).

وما زلنا في سياق آيات القرآن الكريم التي تؤكد نوع النفاق القائم على الريبة والشك ، وتحدث الآيات سالفة الذكر عن المنافقين الذين دُعوا إلى القتال مع المسلمين في غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها بقضاء الله وقدره ليطيخ المؤمنين من المنافقين ، كعبد الله بن أبي بن سلول ، وأصحابه الذين تخاذلوا في يوم أحد عن رسول الله ﷺ ، ورجعوا وكانوا نحواً من ثلاثمائة رجل ، فقال لهم المؤمنون تعالوا قاتلوا المشركين معنا ، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا ، فقال لهم المنافقون لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ولكن لا نظن أن يكون هناك قتال وهذا يرجع إلى شكهم في أمر رسول الله ﷺ وريبهم في أمر الآخرة ، ولذا قال الله عز وجل بعدها مباشرة :

﴿ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ أي بقولهم هذا صاروا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان.

وفي سورة النساء يقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾ مُدْتَبِّينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا

إِلَى هَتُوْلَاءٍ وَلَا إِلَى هَتُوْلَاءٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيْلًا ﴿١٧﴾
(النساء: ١٤٢، ١٤٣).

تؤكد الآيات سالفة الذكر حال منافقي الريبة والشك المتذبذب، وأن أعمالهم يشوبها التردد وعدم الإتيان، ولذا قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾، أي يصلون وهم متقلبون متكاسلون ولم يأت المعنى أنهم يتظاهرون بأداء الصلاة، فيدل ذلك على أنهم يصلون فعلاً ولكن لشكهم في الثواب والعقاب فإنهم يؤدونها بتردد وتكاسل، كما أنهم يذكرون الله ولكن قليلاً للسبب نفسه، ثم جاء قوله تعالى: ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَتُوْلَاءٍ وَلَا إِلَى هَتُوْلَاءٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيْلًا ﴾، أي لا ينتسبون إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين نتيجة لشكهم في الإيمان بالله واليوم الآخر.

وفي سورة التوبة يقول الله عز وجل:

﴿ لَا يَسْتَعِدِّنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِدِّنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يترددون ﴿١٢﴾ ﴿ (التوبة: ٤٤، ٤٥).

وتؤكد الآيات نفاق الريبة والشك في منافقي المدينة، ومعناها إنما يستأذنك يا محمد في عدم الخروج معك إلى غزوة تبوك المنافقون الذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم وشكوا في ثواب الله فهم يترددون حيارى لا يدرون ما يصنعون^(١).



obeikandi.com

الفصل الرابع

نفاق الريبة والشك في السنة النبوية

إن اليقين بثواب الإيمان والعمل بموجبه هو الفيصل بين المؤمنين والمنافقين، بل هو الفيصل بين الإيمان والكفر مصداقاً لقول الله عز وجل:

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٦٦) ﴿ بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكِّ مَنِهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ (النمل: ٦٥، ٦٦).

قال ابن كثير رحمه الله: «هم شاكون في وقوعها ووجودها».

وقال عز من قائل:

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَبِقِينَ ﴾ (٣٢) ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الجنائفة: ٣٢، ٣٣).

ولما كانت السنة النبوية الشريفة قد جاءت مؤكدة ومفصلة لآيات الله عز وجل فإننا سنورد من الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ، ما يؤكد ذلك ويرسخه في أذهاننا، قال النبي ﷺ: «ثلاثة لا تسأل عنهم، رجل ينازع الله إزاره، وإزاره العز، ورجل في شك من أمر الله، والقنوط من رحمة الله»^(١).

وقال النبي ﷺ: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن إلا غفر الله له»^(٢).

(١) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني. (٢) المصدر السابق.

وقال النبي ﷺ: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيهما تتبع»^(١).

وهذه الأحاديث توضح بجلاء أن المنافق ليس بالضرورة أن يكون كافراً في الأصل، ويتظاهر بالإسلام، بل إنه قد دخل الإسلام حقاً ثم توقف عند الريبة والشك في إحدى ثوابته فكان ذلك هو كفره (كفر الشك)، فهو غير متيقن أي الفريقين على الحق.

وقال النبي ﷺ: «ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيتَه في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد أوحى أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل، فأما المؤمن، أو الموقن، فيقول هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأمنا واتبعنا هو محمد (ثلاثاً) فيقال له ثم صالحاً قد علمنا أن كنت لموقناً به وأما المنافق، أو المرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»^(٢).

وفي حديث آخر بنفس المعنى نفسه وفيه زيادة: يقال للرجل الصالح في قبره فيم كنت؟ فيقول كنت في الإسلام فيقال له من هذا الرجل؟ فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له أنظر إلي ما وراك الله تعالى، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها، وما فيها فيقال له هذا مقعدك، ويقال له على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تُبعث إن شاء الله ويجلس الرجل السوء في قبره فرعاً مشعوباً فيقال له: فيم كنت فيقول لا أدري فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول سمعت الناس يقولون قولاً فقلته فيفرج

(١) رواه مسلم وأحمد وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها، وما فيها فيقال له: أنظر إلى ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة إلى النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال: هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ثم يعذب»^(١).

ومن هذه الأحاديث، وغيرها يتضح أهمية اليقين بالآخرة وما بها من حساب وعقاب، وجنة، ونار، وأن ذلك هو الفيصل بين المؤمن والمنافق.

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بصلاة المنافق؟ أن يؤخر العصر حتى إذا كانت الشمس كثر البقرة (أي على وشك الغروب) صلاها».

ويفيد هذا الحديث أن المنافق يصلي ولكن صلاته ينقصها الإتيان والأداء في وقتها مع الجماعة، فهي إذن صلاة دون اليقين بمجدواها نتيجة لشكه وارتيابه في ثواب الإيمان.

والاستمرار على ذلك الشك حتى الموت يحول بين صاحبه وبين النطق بكلمة التوحيد عند الوفاة مصداقاً لقول الله عز وجل:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ

كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾ (سبا: ٥٤).



(١) رواه الدارقطني والحاكم وصححه الألباني.

الفصل الخامس

النفاق مستمر إلى يوم القيامة

يعتقد الكثير من الناس أن النفاق قد زال بزوال عهد النبوة، وهؤلاء الذين يفهمون النفاق على أنه الدخول في الإسلام خوفاً من السبي أو القتل، أو طمعاً في غنائم المسلمين، ولأن الناس في عصرنا الحاضر لا يرون جهاداً، أو غزواً في سبيل الله، فإن النفاق الذي يفهمونه قد انتهى إلى يوم القيامة، وغاب عن أذهان هؤلاء أن الشك والريبة هما سببا النفاق المستمر إلى يوم البعث، وها نحن نرى في عصرنا الحاضر ما يدل على ذلك من خلال المظاهر التالية:

- ١- الاستهزاء والسخرية من اليوم الآخر.
 - ٢- الإهمال الشديد في أداء أركان الإسلام مثل الصلاة والزكاة والحج.
 - ٣- عدم الاهتمام بأمور الآخرة وتحري الحلال من الحرام.
 - ٤- عدم الاستعداد للرحيل من الدنيا، والاعتزاز بطول البقاء فيها.
 - ٥- عدم الاهتمام بعلوم الدين والعقيدة، والاكتفاء بما يدرس من مناهج التعليم.
- والدليل على استمرار النفاق إلى يوم القيامة هو ما ورد من أحاديث رسول الله ﷺ عن علامات الساعة والفتن التي ستقع قرب يوم القيامة ومنها قوله:

«فتنة الأحلاس هرب وحرب، ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني، وليس مني وإنما أوليائي المتقون ثم يصطليح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمه، فإذا قيل انقضت تمادت، ويصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى

obeikandi.com

يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه حتى إذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو غده»^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية مؤكداً استمرار النفاق: «النفاق أنواع وشعب كثيرة وليس نوعاً واحداً، كما أن كثيراً من المتأخرين يغفلون عنها، وبهذا يظهر الجواب عن شبهات كثيرة تورّد في هذا المقام، فإن كثيراً من المتأخرين ما بقى في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدل وفاسق، وأعرضوا عن حكم المنافقين - ظناً منهم أن عهد النفاق قد انتهلا، ومضى زمنه -، والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلى يوم القيامة، والنفاق شعب كثيرة وقد كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم»^(٢). وصدق القائل:

ما زال فينا ألوف من بني سبأ ∞ ∞ يؤذون أهل التقى بغياً وعدوانا
ما زال لابن سلول شيعة كثروا ∞ ∞ أضحى النفاق لهم سمتا وعنوانا



(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.
(٢) رواه الدارقطني والحاكم وصححه الألباني.

الفصل السادس

النفاق درجات

يعتقد كثير من الناس خطأ أن المنافقين هم صنف واحد ليس له أي علاقة بالمسلمين المؤمنين، وهذا ليس صحيحاً على إطلاقه، فالنفاق درجات، والإيمان أيضاً درجات، وحينما يصل النفاق إلى أعلى درجة يكون الإيمان في أقل درجة، والعكس صحيح، والمسلم قد يكون في قلبه إيمان ونفاق تختلف درجتهما باختلاف الفرد، والمنافق المحض هو الذي بلغ النفاق فيه أكبر حد حتى تلاشى الإيمان لديه وانعدم، وهذا النوع من المنافقين الذي قلبه أسود، وهذا الذي يكون في الدرك الأسفل من النار، ولهذا كان الصحابة يخشون على أنفسهم من النفاق ولم يخافوا التكذيب لله ورسوله، فإن المؤمن يعلم من نفسه أنه لا يكذب الله ورسوله يقيناً وهذا مستند من قال أنا مؤمن حقاً فإنه أراد بذلك ما يعلمه من نفسه من التصديق الجازم، ولكن الإيمان ليس مجرد التصديق بل لا بد من أعمال قلبية تستلزم أعمالاً ظاهرة كما تقدم فحب الله ورسوله من الإيمان، وحب ما أمر الله به وبُغض ما نهى عنه، وهذا من أخص الأمور بالإيمان^(١).

ولذا أخبر رسول الله ﷺ أن في أصحابه اثني عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط^(٢)، وهكذا كان فهم الصحابة رضوان الله عليهم فقد روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «القلب أربعة، قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح، وذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يُزهر

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية.

(٢) رواه مسلم وأحمد وصححه الألباني.

فذلك قلب المؤمن ، وقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل شجرة يدها ماء طيب ومثل النفاق مثل قرصة يدها قيح ودم فأيهما علا عليه غلب»^(١).

وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه موافقاً لقول الله عز وجل :

﴿ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ (آل عمران: ١٦٧).

فقد كان مثل ذلك فيهم نفاق مغلوب فلما كان يوم أحد غلب نفاقهم فصاروا إلى الكفر أقرب.

كما روي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : «إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد العبد نفاقاً ازداد القلب سوءاً ، حتى إذا استكمل النفاق أسود القلب ، وأيم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض ، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود ، وقال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» ، فعلم أنه من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يُخلد في النار ، وإن كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك ثم يخرج من النار.

لهذا ، فإن من واجب كل من دخل في الإسلام الخوف على نفسه من النفاق أسوة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم من خير البشر ، فقد روي عن الحسن رضي الله عنه قوله عن النفاق : «ما خافه إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق» ، كما قال أيضاً : «ما مضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو من النفاق غير آمن ، وما مضى منافق قط ، ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن» ، وروى البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال : «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول : إيمانه كإيمان جبريل».

(١) رواه أحمد وصححه الألباني.

الفصل السابع

الصفات القولية والفعلية للمنافقين

الأول : خلف العهد مع الله عز وجل :

قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتّمن خان»^(١).

وفي رواية لمسلم: «إن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

وأغلبية الناس يطبقون هذا الحديث فقط على معاملات البشر بعضهم لبعض وينسون أن يطبقوه على علاقة البشر بربهم، وإن من أكبر أنواع الكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، هو نقض عهد الله وميثاقه، وعدم الإذعان لأوامره، فإن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، تلزم كل من أتى بها أن ينفذ ما أمره الله ورسوله به، وأن ينتهي عن ما نهى الله ورسوله عنه، قال تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوذِيَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿١٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوذِيَكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوذِيَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوذِيَكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿النور: ٤٧-٥٢﴾.

(١) المصنف عليه.

قال الفخر الرازي رحمه الله : نبه الله تعالى على إنهم إنما يعرضون متى عرفوا أن الحق لغيرهم أما إذا عرفوه لأنفسهم عدلوا عن الإعراض وأذعنوا ببذل الرضا^(١) ، وما النفاق إلا عقاب من الله عز وجل لكل من أخلف عهده معه . قال تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا آتَتْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿ (التوبة: ٧٥-٧٧).

الثاني : التكاثر عن أداء الصلاة ، وعدم حضورها مع الجماعة :

قال رسول الله ﷺ : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف»^(٣) .

(٢) متفق عليه.

(١) التفسير الكبير، (٤/٥٤).

(٣) رواه مسلم.

الثالث : الاعتماد على سعة رحمة الله عز وجل دون تقليد العمل الصالح:

قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿٦٥﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٦٦﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الحديد: ١٣-١٥).

قال قتادة : «ما زال (المنافقون) على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في نار جهنم»^(١).

وقال المفسرون : «الغرور بفتح الغين الشيطان لأنه يغر ويخدع الإنسان

قال تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَنُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦٩﴾ ﴾ (فاطر: ٥-٦).

الرابع : الإعراض عن الإستغفار والتوبة :

يظن المنافقين أنهم لم يفعلوا ذنوباً تستوجب التوبة والاستغفار منها، وهذا أيضاً من الأغترار والجهل بأسماء الله وصفاته، فكما أنه جل شأنه غفور رحيم، فإنه شديد العقاب لمن أستهان بعذابه، ويؤكد ما سبق قول الله عز وجل عنهم :

(١) تفسير الخازن.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٥)، أي إذا قيل لهؤلاء المنافقين هلموا إلى رسول الله حتى يطلب لكم المغفرة من الله عز وجل، حركوا رؤوسهم استهزاءً واستكباراً معرضين عما دُعوا إليه، وقال تعالى عنهم أيضاً:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ٦٤).

وقد روي عن عبد الله بن مسعود قوله: «المؤمن يرى ذنبه كالجبل يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا»، أي ذنبه وطيره بجرعة يديه، رواه البخاري.

الخامس: قلة ذكرهم لله عز وجل:

إن المنافقين يشكّون في جدوى ذكر الله وفي مكانته عند الخالق عز وجل، ولقد قرر رسول الله ﷺ: أن الدعاء هو العبادة^(١) في أكثر من حديث صحيح، وأفضل الدعاء الذكر، ويؤكد ذلك قول رسول الله ﷺ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله وأفضل الدعاء: الحمد لله»^(٣)، وسبب قلة المنافقين لله عز وجل أنهم سلموا قيادهم للشيطان، ولأنفسهم الإمارة بالسوء، فأوصلهم ذلك إلى نسيان ذكر الله عز وجل، قال تعالى عنهم:

(١) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان.

(٣) رواه مالك وحسنه الألباني.

﴿ أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا
إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة: ١٩).

أي أستولى على قلوبهم وتملك نفوسهم حتى أنساهم أن يذكروا ربهم
ويستتيروا بشرعه في حياتهم.

السادس : عدم فهمهم للقرآن، وعدم تدبرهم له :

إن من نتائج الشك في اليوم الآخر ، ونكث عهد الله ورسوله في طاعتها ، هو
أن الله عز وجل قد أنزل عقوبته على المنافقين فجعلهم في غشاوة مستمرة إلى يوم
البعث والحساب ، مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مُّسْتَوْرًا ﴾ (١) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا
ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّأ عَلَىٰ أذْبُرِهِمْ نُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٥-٤٦).

إذا ، فالمنافق يمكن أن يقرأ القرآن أو يُقرأ عليه ولكنه لا يعمل بموجبه بسبب
الغشاوة التي تمنعه من فهمه وتطبيقه ، لذا قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمن الذي
يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ
القرآن مثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر (المنافق) الذي يقرأ
القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر (المنافق) الذي لا
يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «إن من المنافقين من يصدق أنه كلام
الله وأن الرسول حق ولا يكون مؤمناً ، كما أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبنائهم

وليسوا بمؤمنين، وكذلك أبلّيس، وفرعون، وغيرهما، لكن من كان كذلك لم يكن حصل له العلم التام والمعرفة التامة، فإن ذلك يستلزم العمل بموجبه لا محالة.

السابع: عدم إيمانهم بقضاء الله وقدره وسقوطهم عند المحن:

إن الإيمان بالقدر خيره وشره هو أحد أركان الإيمان الذي لا يتم إيمان المسلم إلا بها، فقد قال رسول الله ﷺ: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمة لهم خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار^(١)»، والمنافقون يعبدون الله على حرف ويسقطون من أول محنة يتعرضون لها، قال تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ (الحج: ١١).

قال الحسن رضي الله عنه: هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه^(٢)، وهذا حال كثير من منافقي هذا الزمان إذ أنهم إذا أنعم الله عليهم بالمال والخير الوفير شكر في الإسلام وأشاد به، وإن أصابته فاقة في المال والولد تهجم على الدين وأهله، ولجأ إلى معصية الله ورسوله، فحاله حال من قال الله تعالى فيهم:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَنَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿٢﴾ ﴾ (الحج: ١١).

(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

(٢) القرطبي (١٢-١٧).

وحالهم حال من قال الله تعالى عنهم:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (العنكبوت: ١٠٠-١١).

الثامن: السخرية والإستهزاء بالمؤمنين:

قال تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نَعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (التوبة: ٦٥-٦٦).

قال الطبري: بينما رسول الله ﷺ يسير في غزوته إلى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه فاتاهم فقال: قلم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت الآية، ثم كشف أمرهم، وفضح حالهم وفي رواية أخرى قال المنافقون: ما رأينا مثل قراؤنا هؤلاء «أى رسول الله ﷺ وأصحابه»، أكذب ألسنا ولا أرغب بطونا ولا أجن عند اللقاء، فنزلت الآيات سالفة الذكر، والمنافقون في كل مكان وزمان معروفون باستهزائهم بالمؤمنين المتزمين بشرع الله عز وجل، وكذلك استهزائهم بثواب وأركان الإيمان مثل الجنة والنار لأنهم لا يدركون أن تلك الأركان واقعة لا محالة، وأن استهزائهم بها مسجل عليهم، وستشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يفعلون.

التاسع : النهي عن المعروف والأمر بالمنكر:

سبق أن ذكرنا بأن المنافقين قد استحوذ عليهم الشيطان، وقبلوا سيطرته على عقولهم وقلوبهم إتباعاً لشهواتهم، وتصوروا أن الحدود التي فرضها الدين قيوداً على حرياتهم وتصرفاتهم فانقلبت معايير الأمور لديهم، فأصبح المعروف لديهم منكراً، والمنكر معروفاً، قال الله عز وجل فيهم:

﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَئِبٌ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (التوبة: ٦٧-٦٨).

ولأن المنافقين يحبون المنكر ويكرهون المعروف فإنهم يكرهون ظهور الحق واستعلائه على الباطل مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ لَقَدْ أَتَعَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (التوبة: ٤٨).

العاشر: موالة الكفار من دون المؤمنين:

إن المنافقين لا يثقون في وعد الله بتمكين المؤمنين في الأرض مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور: ٥٥).

وغالباً يكون المؤمنون الأقل في القوة المادية من أعدائهم ويعتمدون في مواجهاتهم لأعدائهم بعد أخذ الأسباب، على تأييد الله عز وجل ونصره لهم،

كما يشهد بذلك تاريخ المسلمين منذ الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة، إلى انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ولكن المنافقين لا يؤمنون بغير الماديات، وتبهرهم القوة المادية، ولا يقيمون للإيمان بالله تعالى، واليقين بنصره للمؤمنين وزناً مصداقاً لقوله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(محمد: ٧).

ولذا فإنهم يوالون الكفار الأقوى مادياً اعتقاداً منهم بأن العزة في مولاتهم والانحياز إلى صفوفهم قال عز وجل:

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُنَّ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾

(النساء: ١٣٨، ١٣٩).

الحادي عشر: حرصهم على المكاسب الدنيوية العاجلة، وزهدهم في مكاسب الآخرة:

قال تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ
وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة: ٤٢).

ذكر الله عز وجل موقف المنافقين المشبطين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وبين لنا أنه لو كان سفراً قريباً سهلاً لخرجوا مع رسول الله ﷺ لا يخرجون لوجه الله بل طمعاً في الغنيمة، ولكونهم قد بعدت عليهم الطريق والمسافة الشاقة، فقد إعتدروا عن الخروج، وسيحلفون للمؤمنين معترنين بأعدار كاذبة بأنهم لم

يقدرُوا على الخروج بسبب هذه الأعذار، ولكن الله عز وجل أبطل دعواهم، وفضح كذبهم حيث أنهم كانوا يستطيعون الخروج ولم يخرجوا، ورد الله عز وجل هذا السبب إلى شكهم وترددهم وهذا هو مرضهم الذي لازمهم حتى أوردهم موارد الهلاك^(١)، ومثل هذا الطبع والصفة تتكرر مع المنافقين في كل زمان ومكان، فتجدهم يزهدون أشد الزهد في طاعة الله وبذل الجهد والمال في سبيل الله، بينما هم لا يفرطون في مكسب مادي سيزول حتماً، إما بإنقضاء حياتهم الدنيوية، أو بنفاذه كما ينفذ زاد المسافر، ويبدلون من أجله الجهد والعرق وربما يهلكون أنفسهم من أجله أتباعاً لشهواتهم، ولقد أكد ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا»^(٢)، فالتقاعس عن الطاعات سمة ملازمة لهم.

الثاني عشر: التحاكم إلى غير شرع الله تعالى :

إن شرع الله عز وجل لا يجامل ولا ينحاز إلى فئة دون فئة، فهو الحكم العدل والميزان الحق، والمنافقون يكرهون التحاكم إلى شرع الله لأنه يتعارض مع أهوائهم، وشهواتهم الدنيوية، وعادة ما يشككون في جدوى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ويتحججون بكثرة الفساد في المجتمع، وأنه في حال تطبيق الشريعة الإسلامية، فإن القصاص سينال أغلبية الناس، ونسوا أو تناسوا أن الفوضى العارمة في أغلب المجتمعات، وغياب الأمن والأمان بها، إنما هو بسبب عدم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وذلك بشهادة بعض أعداء الإسلام، إذ قال أحدهم: «إنني أعتقد أن رجلاً كمحمد ﷺ لو تسلم زمان الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه، وقيادة العالم إلى الخير وحل

(١) صفوة التفاسير.

(٢) متفق عليه.

مشكلاته على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة، والحق ما شهدت به الأعداء ويقول الله عز وجل في المنافقين نافياً عنهم الإيمان:

﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿النساء: ٦٥﴾.

الثالث عشر: التشكيك في طهارة المجتمع الإسلامي وإتهام المؤمنين بالفاحشة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَبِيرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا آخْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿النور: ١١﴾.

فمن صفات المنافقين أنهم يضمرون كراهية للمتزمين شرع الله، وسنة نبيه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى فيهم:

﴿ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ ﴿النساء: ٨٩﴾.

بل يتعدى كرههم للمؤمنين إلى إتهامهم بالفحشاء حقداً وحسداً على التزامهم، وليس أدل على ذلك، من إتهامهم لأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عليها السلام بالفاحشة، قال الفخر الرازي: الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء فقد أجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة عليها السلام وهي زوجة المعصوم صلوات الله وسلامه عليه^(١).

وهكذا هو حالهم في كل زمان ومكان، بل أن بعضهم ذهب إلى إتهام أجلاء الصحابة ومنهم أفضل الناس بعد الأنبياء بالكفر والردة، وما كان ذلك ليكون إلا لتغلغل سرطان النفاق في عقولهم وقلوبهم والله المستعان.

(١) التفسير الكبير.

الرابع عشر : حبههم للترف، والرياء، وكرهية الإنفاق في سبيل الله :

إن شك المنافقين في الآخرة جعل الدنيا في نظرهم هي أكبر همهم، لذا فهم يجمعون من أجلها المال ويكرهون الإنفاق في سبيل الله، وأداء زكاة أموالهم اعتقاداً منهم بأن المال سيضمن لهم البقاء في الدنيا أطول فترة، وإذا فعلوا شيئاً من أعمال البر فعلوها رياء وسمعة، لذا قال الله تعالى عنهم :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٤٢).

وقال عز من قائل :

﴿ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة: ٨٥).

وهذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان، فإنهم يكتزون المال حتى تتراكم ويبخلون في أداء حق الله فيه، ثم يفاجئهم الله عز وجل بالموت فتتحسر أنفسهم على ما كنزوه ثم يكون وبالاً عليهم يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب، ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه، وجبينه، وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار»^(١).

الخامس عشر : سهولة الحلف المغلظ، والحنث فيه :

قال تعالى عن المنافقين :

(١) رواه مسلم وأبو داود وصححه الألباني.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (النور: ٥٣).

أي حلف المنافقون بالإيمان المغلظة ﴿ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ أي، للجهاد، قال مقاتل: لما بين الله إعراض المنافقين، وامتناعهم عن قبول حكمه ﷺ أتوه فقالوا: لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، وإن أمرتنا بالجهاد لجاهدنا فنزلت الآية قل لا تقسموا، أي لا تحلفوا فإن أيمانكم كاذبة ﴿ طَاعَةً مَّعْرُوفَةً ﴾، أي طاعتكم لله ورسوله معروفة، فإنها باللسان دون القلب، وبالقول دون العمل^(١) وهذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان فهم يحلفون دائماً لإرضاء من يستمع إليهم ثم ينكثون عهدهم وقت التنفيذ ويتحججون بحجج واهية للتصل من الوعود التي قطعوها وأكدها بأيمانهم المغلظة.

السادس عشر: الخوف من الموت أو القتل وكراهية الجهاد في سبيل الله :

سبق أن ذكرنا بأن المنافقين لا يؤمنون بقضاء الله وقدره ويعتقدون إمكان الفرار من الموت أو القتل مجرد الهروب منه والتخلف عن ساحات القتال، قال الله تعالى عنهم:

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٦٨).

ولذا فإن المنافقين يفزعون دائماً من أي تهديد، قال تعالى:

﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ (المنافقون: ٤).

(١) تفسير الألويسي.

أي يظنون لجبنهم وهلعهم كل نداء، وكل ضرر أنهم يرادون به، فهم دائماً في خوف، ووجل أن يهتك الله سترهم، ويظهر أسرارهم، قال ابن كثير رحمه الله: كلما وقع أمر أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم^(١)، لذا فإنهم يكرهون الجهاد في سبيل الله، ويتخلفون عنه كلما دعوا إليه، وفي سورة الأحزاب ما يؤكد ذلك بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ﴾ ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴿(الأحزاب: ١٨، ١٩)﴾.

السابع عشر: نشر التشكيك والأراجيف عن ضعف المسلمين:

لقد تأصلت في المنافقين عادة نشر الأكاذيب والأراجيف لبلبله الأفكار ونشر أخبار السوء، والإشاعات منذ قديم الزمان وإلى قيام الساعة ومهما مرت بالمسلمين من لحظات ضعف وهوان، فإن الله عز وجل ضمن لهذه الأمة البقاء والنصر في النهاية على أعدائهم، قال الله تعالى:

﴿ لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۗ ﴾ ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَحْدَاثًا وَوَقَّتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴿(الأحزاب: ٦٠-٦٢)﴾.

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٣/٥٠٤).

قال القرطبي رحمه الله: «سن الله عز وجل فيمن أرفج بالأنياء وأظهر نفاقه أن يؤخذ ويقتل^(١)، ويستفاد من الآية أن النفاق مرض قديم وكان في عهد الأنبياء قبل بعثة النبي ﷺ، وسيستمر إلى يوم القيامة.

الثامن عشر: حسدهم للمؤمنين الملتزمين بشرع الله عز وجل: إن المنافقين يكرهون الخير للمؤمنين، ويتمنون لهم الشر، حسداً وبغضاً لهم وقد نبه الله عز وجل المؤمنين إلى ذلك البغض والحسد كي يكون المؤمنون على بينة من أمر هؤلاء المنافقين، ولا يتخذونهم أولياء يلقون إليهم بالمودة، قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وُدُّوْا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَاتِنْتُمْ أَوْلِيَاءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِن تُصِيبِكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ (آل عمران: ١١٨-١٢٠).

وبين الله عز وجل مدى كراهية المنافقين الشديدة للمؤمنين وظهور إمارات العداوة لهم على ألسنتهم وما يبطنونه للمؤمنين من البغضاء أكثر مما يظهرونه بالرغم من الخداع بعض المؤمنين بالمنافقين، وظنهم بهم خيراً وإذا خلت مجالسهم منكم «أي من المؤمنين» عضوا أطراف أصابعهم من شدة الحقد والغضب لما يرون من ائتلافكم وهو كناية عن شدة الغيظ ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ وهو دعاء عليهم

(١) تفسير القرطبي (١٤/٢٤٧).

أي قل يا محمد أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾، أي إن أصابكم ما يسركم من رخاء وغنيمة ونحو ذلك ساءتهم ﴿وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾، أي إن أصابكم ما يضركم من شدة وهزيمة سرهم ذلك ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، أي إن صبرتم على أذاهم واتقيتم الله في أقوالكم وأعمالكم لا يضركم مكرهم وكيدهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي هو سبحانه عالم بما يدبرونه لكم من مكائد فيصرف عنكم شرهم ويعاقبهم على نياتهم الخبيثة^(٢).

التاسع عشر: عدم القناعة برزق الله:

إن المنافقين في حالة دائمة من النهم وحب الاستزادة من متاع الحياة الدنيا لأنهم يرون أن الدنيا هي نهاية المطاف، فلا يقنعون فيها بما رزقهم الله تعالى من فضله، كما أنهم لا يؤمنوا بأن الأرزاق والآجال مكتوبة منذ الأزل وحتى يرث الله الأرض وما عليها، لذا فإن جل اهتمامهم بما سيكسبونه في هذه الحياة الدنيا فقط، قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ ﴿١٤٣﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾ (التوبة: ٥٨، ٥٩).

وهكذا هو حال المنافقين في كل زمان ومكان فهم يتسخطون على رزق الله ولا ينظرون لمن هو أدنى منهم ولكن ينظرون إلى ما هو أغنى منهم فاحتقروا نعمة الله عليهم.

(١) تفسير القرطبي (١/١٨٣).

(٢) صفوة التفاسير.

العشرون : سهولة التلفظ بكلمات الكفر والفسوق :

إن المنافقين لا يقدّرون مدى خطورة ما يلفظون به من ألفاظ الإستهانة بالدين والعقيدة فتجدهم كثيراً ما يستسهلون احتقار الدين ، أو تكفير المؤمنين الملتزمين بشرع الله ، وقد يتلفظ المرء بكلمة هي من سخط الله لا يلقي لها بالاً فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً ، أو أبعد ما بين المشرق والمغرب ، كما ورد ذلك فيما روي عن رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً ، يهوى بها سبعين خريفاً في النار»^(١). وهذا الطبع في المنافقين ذكره الله تعالى في سورة التوبة :

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ (التوبة : ٧٤).



(١) رواه الحاكم والترمذي وصححه الألباني.

obeikandi.com

الفصل الثامن

موقف المسلم من وساوس الشك والريبة

إن تعرض المؤمن لوساوس الشك والريبة أمر وارد، ولا يوجب الخوف من الوقوع المحذور، إلا إذا توقف عندها، وبنى أفعاله وأقواله على ذلك الشك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكثيراً ما تعرض للمؤمنين شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، وقد يرد على قلبه ما يوجب النفاق، ويرفعه الله عنه والمؤمن يُبتلى بوساوس الشيطان، وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره، كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به، فقال ﷺ: «ذاك صريح الإيمان» وفي رواية: «ما يتعظم أن يتكلم به قال: الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»^(١)، ومعنى الحديث أن حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهية العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان كما المجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا أعظم الجهاد الصريح.

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»^(٢)، والخوف من عدم قبول العمل الصالح عند الله عز وجل هو من الأمور المندوب إليها، ما لم يصل ذلك الخوف إلى درجة اليأس والقنوط من رحمة الله، وذلك مصداقاً لقول الله عز وجل:

(١) رواه أحمد (٢٣٥/١) بسند صحيح.

(٢) صحيح الجامع (٦٧٥).

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
 أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَلِيقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (المؤمنون: ٦٠، ٦١).

وفي هذا الشأن سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ بقولها: أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف، قال رسول الله ﷺ: «لا يا بنه الصديق بل هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه»^(١).



(١) رواه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الفصل التاسع

حكم المنافقين في المجتمع الإسلامي

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المنافقين: هم في الظاهر مؤمنون يصلون مع الناس، ويصومون، ويحجون، ويغزون، والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم، كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ، ولم يحكم النبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم، ولا موارثتهم، ولا نجد ذلك، بل لما مات عبد الله ابن أبي سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق، ورثه ابنه عبد الله، وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنين، وإذا مات لأحدهم من يورث، ورثوه مع المسلمين، فكان ﷺ حكمه في دمائهم وأموالهم كحكمه في دماء غيرهم، لا يستحل منها شيئاً إلا بأمر ظاهر، مع أنه كان يعلم نفاق كثيراً منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه، قال تعالى:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَنَفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَيَّ النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى نَعْلَمَهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَثَرَتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (التوبة: ١٠١).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: بأن حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «أن لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة، لها عند الله مكانة، فهي كلمة من قالها صادقاً أدخله الله بها الجنة ومن قالها كاذباً حققت ماله ودمه ولقى الله غداً محاسبه»^(١)، وقد استدل بهاذ من يرى قبول توبة الزنديق وهو المنافق إذا أظهر

(١) رواه البزار عن عياض الأنصاري.

العود إلى الإسلام ولم يُر مثله بمجرد ظهور نفاقه، كما كان النبي ﷺ يعامل المنافقين بنفاق بعضهم، وهذا قول الشافعي، وأحمد في رواية عنه وحكاية الخطابي عن أكثر العلماء، والله أعلم^(١)، والمؤمنون مأمورون بالإعراض عن من ظهر نفاقه بالفعل أو بالقول، إعراض مقت واجتناب وعدم إظهار المودة لهم مصداقاً لقول الله عز وجل:

﴿ يَعْتَدِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَدِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (التوبة: ٩٤، ٩٥).

وروي عن رسول الله ﷺ قوله: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يكون سيدكم فقد أسخطتم ربكم»^(٢)، وفي اعتزال مجالس المنافقين التي يُستهزأ بآيات الله فيها قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِمْ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ إِنْ اللَّهُ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ (النساء: ١٤٠).

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

الفصل العاشر

طرق الوقاية من النفاق

تبين فيما سبق خطورة النفاق، ومصير كل من يقع فيه يوم القيامة، الذي هو مستقبل البشرية وسائر المخلوقات، وإن لم يتخذ المرء أسباب الوقاية اللازمة من ذلك المرض وأعراضه فلا شك من الوقوع فيه حتماً وخاصة مع ازدياد الغفلة والجهل في الدين واللذين هما في اطراد كبير مع مرور الزمن، وصدق القائل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ∞∞ ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وسنستعرض فيما يلي: الطرق المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

للووقاية من هذا المرض المهلك:

الأول: قطع الشك باليقين في أركان الإيمان الست وما يمت لها بصلة:

فقد علمنا بأن الشك والريبة هي المحركان الرئيسان لمرض النفاق، ولا يتم التغلب عليهما إلا بدوام التدبر، والتفكر في عجب صنع الله في خلقه وليكن قائد المسلم في ذلك هو قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُنَا ﴿١٨١﴾﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

وفي أكثر من آية في كتاب الله الكريم نجد حض المسلم على دوام التدبر في إعجاز الخالق سبحانه وتعالى وتدبر القرآن واستشفاف الإعجاز العلمي واللغوي

والتشريعي فيه. وعلى المسلم أن يهتم بجانب اليقين في البعث بعد الموت لأنه مدار الفرق بين المؤمنين والكفار، والمنافقين، ولا تتعجب أخي المسلم بأن السبب الرئيس لخلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر، وهذا الخلق المعجز، جعل الله عز وجل كل ذلك سبباً لليقين في البعث بعد الموت فقد قال عز من قائل:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (الرعد: ٢).

وعلى كل من دخل في الإسلام أن يعلم أن سلاح إبليس ضد بني آدم منذ خلقه إلى قيام الساعة هو التشكيك في البعث بعد الموت، حيث قال عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
 وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ (سبا: ٢٠-٢١).

وقال تعالى:

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿١٠﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿١١﴾
 أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَدِينُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿١٣﴾
 فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿١٤﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا
 نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿١٦﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
 الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٩﴾ لِمِثْلِ هَذَا
 فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٢٠﴾ (الصفات: ٥١-٦١).

ولابد للمسلم العلم بأن عدم الإيمان أو الشك في الآخرة هو بمثابة التكذيب لله عز وجل ، وهو شعبة من شعب الكفر المخرجة عن ملة الإسلام ويؤكد ذلك ما ورد في الحديث القدسي : « كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فرغم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقولته: لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا»^(١).

وانظر أخي المسلم كيف قرن الله عز وجل ذنب التكذيب باليوم الآخر مع الإدعاء بأن الله عز وجل قد اتخذ ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وإن من ثمار اليقين باليوم الآخر والشعور بقربه مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۗ ﴾ (المعارج: ٦، ٧)، هو نجاة صاحبه من الوقوع في النفاق ويكون سبباً للخشية من التقصير في عبادة الله، تلك الخشية التي تدفع المؤمنين للاستزادة من العمل الصالح، وتحذوهم من الوقوع في أي معصية لله وإن صغرت فالعبرة، ليست بصغر المعصية، ولكن العبرة بعظم من يُعصي، والخوف من معصية الله عز وجل في الدنيا هو طوق النجاة من الخوف في يوم البعث، ويؤكد ذلك ما ورد في الحديث القدسي الذي يقول المولى عز وجل فيه : «وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمينين ولا خوفين إن هو آمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمنت يوم أجمع عبادي»^(٢).

إن الدليل على عدم الشك والارتياب في اليوم الآخر هو الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله بالمعنى الشامل للجهاد، فكل طاعة جهاد، وكل إمساك

(١) رواه البخاري (٤٣٢٧).

(٢) رواه البخاري (٤٣٢٧).

عن معصية جهاد، والبذل بالمال في أوجه الخير والصدقة جهاد، والقتال في سبيل الله جهاد، وهذا مصداقاً لقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ﴾ (الحجرات: ١٥).

الثاني : العلم بأضرار النفاق :

إن النفاق من أهم أسباب إحباط العمل، كما أنه هو السبب الرئيس لعذاب القبر، وشدة الموقف يوم القيامة، والولوج في نار جهنم أعاذنا الله من ذلك فقد قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۗ الشَّيْطٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ۗ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ۗ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۗ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ۗ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۗ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۗ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۗ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۗ ﴾ (محمد: ٢٥-٣٠).

ولقد علمنا فيما سبق بأن المنافق أو المرتاب حين يسأل في القبر، فيقول هاها لا أدري كنت سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ويرى مقعده من النار، ثم يعذب، وأما في يوم البعث فقد علمنا أنه يتم الفصل بين المؤمنين الموقنين، وبين المنافقين المرتابين بسور له باب باطنه من دونه الرحمة، وظهره من قبله العذاب، ويقع المنافقون في ظلمة حالكة، ويستجدون بالمؤمنين لانتظارهم والاستبصار

بنورهم، فلا يُمكنهم الله عز وجل من ذلك، والأحاديث والآيات الواردة في عذاب المنافقين في النار معروفة، قد سبق ذكرها.

الثالث : كثرة ذكر الله وقراءة القرآن وتدبره :

إن من أهم صفات المنافقين كما علمنا، هي قلة ذكرهم لله عز وجل وعدم تدبرهم للقرآن الكريم قال تعالى :

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٧ ﴾ (النساء: ١٤٢).

وقال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨٢ ﴾ (النساء: ٨٢).

وفي المقابل جاء تحذير الله عز وجل لعباده المؤمنين من عاقبة الانشغال بمتاع الدنيا عن ذكر الله عز وجل ومن العجيب أن يأتي هذا التحذير في سورة المنافقين مما يفهم من ذلك أنكم أيها المؤمنون إن انشغلتم عن ذكر الله فإنكم ستقعون في النفاق قال تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمَوْلُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩ ﴾ (المنافقون: ٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضعاً فوائد القرآن وذكر الرحمن ما يلي: قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الإيمان العظيم وتزيده يقيناً، وطمأنينة، وشفاء، قال تعالى :

﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ (الإسراء: ٨٢).

وقال تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ (البقرة: ٢).

وقال تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ (التوبة: ١٢٤).

وذكر الله بمفهومه الأعم يشمل المواظبة على أذكار الصباح والمساء من أحاديث السنة النبوية الشريفة والمحافظة على الصلاة في أوقاتها مع الجماعة، والصيام، والزكاة، والحج، والعمرة واجتناب المحرمات، وفعل الطاعات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والرضا بقضاء الله وقدره، وحمده على نعمه، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، وكل ذلك من ذكر الله عز وجل القولي والفعلي، الذي ينجي صاحبه من عذاب النار، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: «ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»^(١)، ومن أهم فرائض الذكر القولي والفعلي التي تنجي صاحبها من مرض النفاق المحافظة على الصلاة مع الجماعة في المسجد وإدراك تكبيرة الإحرام مصداقاً لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان، براءة من النار وبراءة من النفاق»^(٢)، وما أفضل أن يجعل المسلم مضمون هذا الحديث هدفاً لحياته فيكون في محاولة مستمرة لإدراك هذه الصلاة، حتى تكتب له البراءتان، فيفوز بدخول الجنة، وذلك هو الفوز العظيم.



(١) رواه أحمد وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

الخاتمة

لكل من يهيمه أمر هذا الدين أتقدم بهذا الجهد المتواضع مؤكداً بأنني لم آت بشيء جديد فالآيات، والأحاديث النبوية الصحيحة، وما ذكر من آثار الصحابة الموقوفة، والمرفوعة وآراء أهل العلم في موضوع النفاق، الواردة في هذا البحث، إنما هي موجودة منذ بزوغ شمس البعثة إلى زماننا هذا، وستبقى بأذن الله تعالى إلى ما شاء الله بحفظه لهذا الدين مصداقاً لقوله جل شأنه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

وأني لأهيب بالمخلصين من هذه الأمة ممن ولأهم الله عز وجل أمانة وضع المناهج الدينية أو البرامج الإعلامية الإسلامية المسموعة والمرئية، والدعاة في سبيل الله، أن يوضحوا حقيقة النفاق وإزالة غبار الغفلة المتراكم عبر عقود من الزمان مما أدى إلى اندثار هذه الحقيقة، حتى تعرضت أجيال، وأجيال للوقوع في هذا الداء العضال الذي يسبب خسارة الإنسان المسلم لدينه ودنياه، فما لم تحدث صحوة تزيل هذا الغبار كان في الآخرة فئات من هذه الأمة مقولتهم ما ورد في كتاب الله عز وجل:

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٢٣، ٢٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الذين قال الله تعالى عنهم:

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ

شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَادِبُونَ ﴾ (المجادلة: ١٨).

أي المنافقين وأملنا في الله كبير في أن يتم تصحيح مفهوم النفاق في المناهج التعليمية والإعلامية والله الموفق إلى سواء السبيل.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المراجع

- ١- صحيح البخاري للإمام البخاري.
- ٢- صحيح مسلم للإمام مسلم.
- ٣- الموطأ للإمام مالك.
- ٤- سنن ابن ماجة للإمام ابن ماجة.
- ٥- سنن أبي داود للإمام أبي داود.
- ٦- سنن الترمذي للإمام الترمذي.
- ٧- مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل.
- ٨- كتاب الإيمان للشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٩- جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي.
- ١٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الألباني.
- ١١- تفسير ابن كثير للحافظ ابن كثير.
- ١٢- تفسير القرطبي للإمام القرطبي.
- ١٣- تفسير الألوسي للإمام الألوسي.
- ١٤- تفسير البيضاوي للإمام البيضاوي.
- ١٥- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي.
- ١٦- صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني.

obeikandi.com

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	١- المقدمة
٩	٢- معنى النفاق في اللغة والشرع
١١	٣- نفاق الخوف من القتل أو السبي
١٣	٤- نفاق الريبة والشك في القرآن الكريم
١٩	٥- نفاق الريبة والشك في السنة النبوية
٢٣	٦- النفاق مستمر إلى يوم القيامة
٢٥	٧- النفاق درجات
٢٧	٨- الصفات القولية والفعلية للمنافقين
٤٥	٩- موقف المسلم من وساوس الشك والريبة
٤٧	١٠- حكم المنافقين في المجتمع الإسلامي
٤٩	١١- طرق الوقاية من النفاق
٥٥	١٢- الخاتمة
٥٧	١٣- المراجع
٥٩	١٤- الفهرس



طَلَبُ الْجَنَّةِ

قِصَصُ الْمُشْتَاقِينَ إِلَى الْجَنَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالصَّالِحِينَ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الرَّازِيِّ

بِقَرْنِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُجْرِيِّ

دار الأمانة
للطباعة والنشر والتوزيع
رقم الترخيص: ٥٤٥٧٦٦٩

دار العروة
للتوزيع والكتاب والشروط والتسيير
فان: ٥٤٥٧٦٦٩ : ٥٤٥٧٦٦٩

فَنَاوِمِي الْعُلَمَاءِ وَحَوْلَ

الْخَطَاءِ الْمَصْلُوحَاتِ

بِمَعْرِفَةِ الْمُحَقِّقِينَ

مَوْلَانَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّرْمِيدِيُّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ

دار الإفتاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بمكة المكرمة ٥٤٥٣٣٩

دار الفتوة
بمكة المكرمة
توزيع الكتاب والشريط الإلكتروني
تاس: ٥٤٥١٧٦٩ د ت: ٥٢٢٠٠٢

خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين

الحسن بن علي بن أبي طالب

شخصيته وعصره

تأليف الدكتور
عبدعلي محمد محمد الصديقي
عفا الله عنه

دار الإحياء
للطباعة والنشر والتوزيع
بمسقط، ٥٤٥٧٦٩

دار المعصية
للتوزيع والكتاب والتسويق والتسويق
بمسقط، ٥٤٥٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ

جمع وإعداد

أحمد نور مصطفى

بغفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

دار الأمانة
للطباعة والنشر والتوزيع
رقم الهاتف ٥٤٥٧٧٦٩

دار المعرفة
للتوزيع والكتاب والتسجيل والتسويق
رقم الهاتف ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٢٢٢٠٠٤

فَتَاوَى

زَيْنَبُ وَتَحْيِيلُ النِّسَاءِ

مَجْمُوعَةٌ مِنْ تَحْقِيقَاتٍ

مَرْسَلَةٌ مِنَ الرَّبِّينِ مُحَمَّدٍ وَالسَّعِيدِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِرَأْسِهِ وَسَائِرِ السَّامِعِينَ

دار الإحياء
للطباعة والنشر والتوزيع
بمكة المكرمة ٥٤٥٧٦٩

دار المنيرة
للطباعة والنشر والتوزيع
بمكة المكرمة ٥٤٥٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢